

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْلُمُهُ
مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ
﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: 22 - 28]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

الشروع في بيان
محاسن أحوال
الأبرار إثر بيان
حال كتابتهم

لما بيّنت الآيات السابقة مكانة شأن الأبرار، فأعلى قدره
ورفع منزلة أهله؛ ناسب أن يتبع ذلك بتعظيم منزلتهم، فقال: ﴿إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾⁽¹⁾، فهو شروع في بيان محاسن أحوال الأبرار إثر
بيان حال كتابتهم، على طريقة ما مرّ في شأن الفجار⁽²⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْأَرَائِكِ﴾: أصل (أرك) يدلُّ على إقامة أو التّام مع رِقَّة أو
لُطْفٍ، كلزوم الإبل والرجل المكان المناسب مع ما فيه من مرعى أو
راحة⁽³⁾، وسُميت الأريكة بذلك للزوم القاعد أو المتكئ إليها لراحته،
أو لكونها في الأرض متخذة من أراك - وهو شجرة - أو لكونها مكاناً
للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكاً، والأروك: الإقامة على رعي
الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامة⁽⁴⁾، والأرائك: جمع أريكة،
وهي السرير في الحجال⁽⁵⁾.

(2) ﴿نَضْرَةً﴾: أصل (نضر): يدلُّ على حسن وجمال وتلاؤ⁽⁶⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 91/31.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 128/9، ودرويش، إعراب القرآن: 415/10.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق المؤصل: (أرك).

(4) الزّاغ، المفردات: (رحق)، والسجستاني، غريب القرآن، ص: 68، وابن الهائم، التبيان، ص: 218.

(5) الجبال جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب الفاخرة والستور، يُنظر: ابن عباد، للحيط في اللغة،

وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (حجل).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق المؤصل: (نضر).

وَالنَّضَارَةَ حَالٌ مُعْجَبَةٌ طَيِّبَةٌ تَظْهَرُ عَلَى الشَّيْءِ، أَوْ تَغْشَى حَالَهُ⁽¹⁾، والمعنى: بهجة التَّعْظُمِ ونوره ورونقه وسروره⁽²⁾.

(3) ﴿رَحِيقٌ﴾: أصل رَحِقَ يَدُلُّ عَلَى صِفَاءِ الشَّيْءِ وَسُهُولَتِهِ بِذَهَابِ غِلْظِهِ وَحِدَّتِهِ مِنْ أَثْنَائِهِ، وَالرَّحِيقُ: الشَّرَابُ الَّذِي لَا غِشَّ فِيهِ⁽³⁾، وَالرَّحِيقُ وَالرُّحَاقُ: الصَّافِي، وَالْمَعْنَى هُنَا: اسْمٌ لِلْخَمْرِ الصَّافِيَةِ الطَّيِّبَةِ؛ وَهِيَ خَمْرُ الْجَنَّةِ⁽⁴⁾، وَالرَّحِيقُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، وَهُوَ مِنْ أَعْتَقَهَا وَأَفْضَلَهَا، فَهُوَ صَفْوَةُ الْخَمْرِ⁽⁵⁾.

(4) ﴿مَخْتُومٌ﴾: أَصْلُ (خَتَمَ): إِنْهَاءُ الشَّيْءِ وَمَنْعُ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ بِتَسْوِيَةِ ظَاهِرِهِ وَتَغْطِيَتِهِ عَلَى مَا فِي أَثْنَائِهِ، كَمَا فِي تَغْطِيَةِ ظَاهِرِ قُرْصِ الْعَسَلِ، وَالْخَتَمُ: أَنْ تَجْمَعَ النَّحْلُ مِنَ الشَّمْعِ شَيْئًا رَقِيقًا أَرْقَ مِنْ شَمْعِ الْقُرْصِ فَتَطْلُبُهُ بِهِ، وَالْخَتَمُ: بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ، وَخِتَامُ الْوَادِي: أَقْصَاهُ⁽⁶⁾، وَ﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ﴾، أَي: آخِرُ طَعْمِهِ وَعَاقِبَتُهُ؛ إِذَا شَرِبَ، أَي: يَوْجَدُ فِي آخِرِهِ طَعْمُ الْمِسْكِ وَرَائِحَتُهُ⁽⁷⁾، أَي: مَخْتُومُ شَرَابِهِ بِالرَّائِحَةِ الْمِسْكِيَّةِ، وَقِيلَ: مَسْدُودُ إِنْأَوْهُ، مَمْنُوعٌ مِنْ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ إِلَى أَنْ يَفُكَّ خَتَمَهُ الْأَبْرَارُ.

(5) ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾: فَعْلُهُ: نَفَسَ نَفَاسَةً، وَالْمُنَافَسَةُ وَالتَّنَافُسُ فِي الشَّيْءِ: الرِّغْبَةُ فِي الْإِنْفِرَادِ بِهِ، أَي: أَنْ يَأْخُذَهُ لِنَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ⁽⁸⁾، تَقُولُ: نَافَسْتُ فِي الشَّيْءِ مُنَافَسَةً وَنِفَاسًا؛ إِذَا رَغِبْتَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَارَاةِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: شَيْءٌ نَفِيسٌ، أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُتَنَافَسَ فِيهِ، وَيُرْغَبَ فِيهِ⁽⁹⁾، وَالْمُنَافَسَةُ هُنَا: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالتَّسَابُقُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْأَفْضَلِ، وَاللُّحُوقُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالٍ ضَرَرٍ عَلَى غَيْرِهِ⁽¹⁰⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾، أَي: فَلْيَرْغَبِ الرَّائِبُونَ، وَلْيَسْتَبِقُوا فِي طَلْبِهِ، وَلْتَحَرِّصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِب، والفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نضر).

(2) الرَّمْخَشَرِي، الْكَشَاف: 723/4، وَأَبُو السُّعْدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيم: 128/9، وَإِسْمَاعِيلُ حَقِّي، رُوحُ الْبَيَان: 371/10.

(3) ابن سيدة، الْحَكَم: (رَحَق).

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير: 205/30.

(5) الْجَوْهَرِي، الصَّحَاح، وَابْنُ مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَب: (رَحَق).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ختم)، وابن الهائم، التَّبْيَان، ص: 455.

(7) الْقُرْطُبِي، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآن: 265/19، وَالشُّوكَانِي، فَتْحُ الْقَدِير: 488/5.

(8) مُحَمَّدُ جَبَل، الْمَعْجَمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْمُؤَصَّل: (نفس).

(9) الزَّاعِب، الْفَرْدَات، وَابْنُ فَارِس، مَقَايِيسُ اللُّغَةِ: (نفس).

(10) الْبَالِيسَانِي، حَسَنُ الْبَيَان: 2860/6.

(6) ﴿وَمَزْجُهُ﴾: أصل (مزج): خَلَطَ مَائَتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ - أو أكثر - بعضُهُما ببَعْضٍ وجَعَلُهُما شَيْئاً واحداً⁽¹⁾، والمَزْجُ: خَلَطُ المِزَاجِ بالشَّيْءِ، وَمَزَجَ الشَّرَابَ: خَلَطَهُ بغيرِهِ، يُقال: مزج الشَّرَابَ بالماء، فامتزج، ومازجه وتمازجا وامتزجا، ومزاجه عسلٌ، وكأنَّ طَعْمَهُ طَعْمُ المزج، وهو الشَّهْدُ⁽²⁾، والمعنى هنا: ما يُمَزَّجُ، ويُخلَطُ به ذلك الشَّرَابُ⁽³⁾.

(7) ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسمٌ عَيْنٍ في الجَنَّةِ رَفِيعَةِ القَدَرِ، وَسَنَمُ الشَّيْءِ تَسْنِيمًا: علاه، كَتَسَنَّمَهُ وَتَسَنَّمَ الحائِطُ: علاه من عرضه⁽⁴⁾، وأصلُ (سنم): يَدُلُّ على العُلُوِّ والارتِفاعِ، ومنه: سَنَامُ البَعِيرِ، وَتَسَنَّمْتُ الحائِطَ: إذا عَلَوْتَهُ⁽⁵⁾، وَسُمِّيَتْ عَيْنُ الجَنَّةِ بالتَّسْنِيمِ الَّذِي هو مَصْدَرٌ سَنَمَهُ إذا رَفَعَهُ؛ إمَّا لَأَنَّهَا أَرَفَعَ شَرَابٍ في الجَنَّةِ، وإمَّا لِأَنَّهَا تَأْتِيهِمْ مِنْ فَوْقٍ، فَتَسَنَّمُ عَلَيْهِمْ مِنَ العُرْفِ⁽⁶⁾.

❖ اللَّغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

بيان أحوال المؤمنين في جَنَاتِ النِّعَمِ

تُبَيِّنُ الآيَاتُ الكَرِيمَةُ ما أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الأَبْرَارِ مِنْ نعيمٍ مُقيمٍ، فالأَبْرَارُ الَّذِينَ صَدَقُوا في طَاعَتِهِمْ لربِّهِمْ، وأَخْلَصُوا لَهُ العَمَلَ، في نعيمٍ خَالِدٍ في جَنَاتِ النِّعَمِ، يَتَقَلَّبُونَ في بَهْجَتِها، مُتَّكِنِينَ على سُرُرٍ مُرَيَّنَةٍ يَنظُرُونَ إلى وَجهِ اللهِ الكَرِيمِ، وإلى ما أَوْلَاهُمْ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ وَنِعْمَةٍ سَابِقَةٍ، تَلَوُّحُ في وَجْهِهِمْ أَثَرُ النِّعْمَةِ وَعَلَامَاتُ السَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ، يُسَقُّونَ مِنْ خَمَرٍ صَافِيَةٍ لَذِيذَةٍ مَخْتُومَةٍ بِخَاتَمِ المِسْكِ؛ فَلْيَتَسَابَقِ المُتَسَابِقُونَ في طَلَبِ ذَلِكَ النِّعَمِ العَظِيمِ، وَيَمَزَّجْ ذَلِكَ الرِّحِيقُ المَخْتُومَ بِشَرَابٍ شَرِيفٍ يَنْبُعُ مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ في الجَنَّةِ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مزج).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (مزج)، والزَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: 2/ 209.

(3) الهري، حقائق الرُّوح والزَّيْجَان: 31/ 233.

(4) الزَّيْدي، تاج العروس: (سنم).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والحلي، غمدة الحفاظ: (سنم).

(6) الواحدي، البسيط: 23/ 342 - 344، والزَّمْخَشَرِيُّ، الكشاف: 4/ 723.

تُسَمَّى تسنيمًا، وهي شرابُ المقرَّبِينَ ومنهلُ السَّابِقِينَ إلى رضوان ربِّ العالمين⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَدَغِيُّ:

عِلَّةُ فَضْلِ جُمْلَةٍ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، كَأَنَّ السَّامِعَ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ كِتَابِ الْأَبْرَارِ؛ خَطَرَ فِي ذَهْنِهِ سَوْأَلٌ عَنْ حَالِهِمْ وَمَالِهِمْ، فَجَاءَ الْجَوَابُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾؛ بَيَانًا لِنَعِيمِهِمُ الْعَظِيمِ وَسَعَادَتِهِمُ الدَّائِمَةِ، فَفُصِّلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ سَابِقَتِهَا مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَبَهٍ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَهِيَ وَاقِعَةٌ مَوْقَعَ الْبَيَانِ لِمَا قَبْلَهَا⁽²⁾.

بَلَدَغَةٌ تَتَابِعُ الْمُؤَكَّدَاتِ:

احتشدت في الجملةِ الكريمةِ ثلاثةُ مُؤَكَّدَاتٍ، وهي: ﴿إِنَّ﴾ التي تُقَدِّمُ التَّحْقِيقَ، وَاللَّامُ المَزْحَلِقَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْخَبَرِ، وَصِيَاغَةُ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الدَّالَّةُ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهَا تَوْكِيدًا مُتَرَاكِبًا يَرْسُخُ الْمَعْنَى فِي الذِّهْنِ رَسوخًا لَا يَزُولُ، فَجَاءَ هَذَا التَّرْكِيبُ الْبَلِغُ مَشْحُونًا بِأَقْوَى أَسَالِيبِ التَّوَكُّيدِ؛ لِيُغْرَسَ فِي الْقَلْبِ يَقِينًا لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ بِأَنَّ نَعِيمَ الْأَبْرَارِ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، فَتَسْمُو النُّفُوسُ إِلَيْهِ شَوْقًا، وَتَتَنَافَسُ فِي بُلُوغِهِ حَرَصًا⁽³⁾، وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأَدَوَاتُ فِي بِنَاءٍ قَصِيرٍ مُحْكَمٍ؛ اكْتَسَبَتِ الْجُمْلَةُ فَخَامَةً وَوَقْعًا قَوِيًّا؛ إِذْ أَوْحَتْ كَثْرَةُ التَّوَكُّيدَاتِ مَعَ قَلَّةِ الْأَلْفَاظِ بِتَقْوِيَةِ مَعْنَى الْجُمْلَةِ، وَكَأَنَّهَا تَكَرَّرَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهَذَا مِنْ أَرْقَى صَوَرِ الْإِيْجَازِ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْبَلَاغَةُ؛ إِذْ يُؤْتَى بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ، فَيَكُونُ اللَّفْظُ قَلِيلًا وَمَعْنَاهُ وَافِرًا جَلِيلًا⁽⁴⁾.

عِنْدَ سَمَاعٍ
وَضَفِ كِتَابٍ
الْأَبْرَارُ؛ تَتَشَوَّفُ
النُّفُوسُ لِمَعْرِفَةِ
أَحْوَالِهِمْ

يَقِينٌ يَمَازُ الْقَلْبَ
بِأَنَّ نَعِيمَ الْأَبْرَارِ
حَقٌّ لَا مُحَالَهَ،
فَتَرْتَفِعُ النُّفُوسُ
شَوْقًا إِلَيْهِ
وَتَتَنَافَسُ فِيهِ

(1) ابن عطية الأندلسي، للحرر الوجيز: 5/ 453، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 264، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 352، والسَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 916.

(2) الألوسي، روح المعاني: 15/ 281.

(3) الصَّافِي، الجدول في إعراب: 30/ 275، واما محمد صافي، برنامج في رحاب سورة: (للمطففين).

(4) امحمد صافي، برنامج في رحاب سورة: (للمطففين).

غرض إظهار ﴿الْأَبْرَارِ﴾ دون الإضمار:

ذَكَرَ الْأَبْرَارِ تَنْوِيَةً
بِشَأْنِهِمْ وَتَكْرِيمًا
لَهُمْ وَإِشَادَةً
بِصِفَاتِهِمْ

آثر النظم الكريم إظهار لفظ ﴿الْأَبْرَارِ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، وكان مقتضى الظاهر إضماره؛ لتقدم ذكرهم، إلا أنهم ذُكروا بوصفهم الظاهر بدل الإشارة إليهم بضمير، كما قال في شأن المكذبين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾؛ وجاء ذلك تنويهاً بشأنهم، وتكريماً لهم، وإشادةً بصفاتهم الجليلة⁽¹⁾.

بلاغة التعبير بحرف الظرفية:

تَوْسِيْعُ دَائِرَةِ
رَجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
نَعِيمِ الْآخِرَةِ؛
لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ
بَدِيعِ الْوَصْفِ

التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ دالٌّ على تمكُّن الأبرار في النعيم تمكُّن المظروف في ظرفه⁽²⁾، فالظرفية هنا مجازية⁽³⁾، وفي استعمال الظرفية تنبيهٌ إلى أن نعيم الآخرة نعيمٌ شاملٌ كاملٌ، فقد جعلَ الله تعالى النعيمَ نفسَه ظرفاً يحيط بالأبرار؛ ليُصوِّرَ حالَهُمْ، فهم مغمورون في النعيم، ومُحاطون به إحاطةً تامةً لا يُفَارِقُونَهُ طرفَةً عَيْنٍ، وفيه دلالةٌ على كمالِ النعمة ودوامِها⁽⁴⁾.

بلاغة ذكر النعيم دون ذكر الجنة:

تَحْقِيقُ النَّعِيمِ
الْحَسَنِيِّ
وَالْعَنَوِيِّ،
وَتَأْكِيدُ الْغَايَةِ فِي
دُخُولِ الْجَنَّاتِ

آثر النظم الكريم التعبير بقوله: ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ دون أن يُقال: (لفي جنات)؛ وذلك للإيجاز على حذف المضاف، والتقدير: (جنات النعيم)، أو على المجاز المُرسَل بإطلاق الحال وإرادة المحل، فالنعيم يحلُّ في الجنات، ومن دخل الجنات؛ نال النعيم، ونكتة ذكر النعيم دون الجنات: تأكيد التَّعَمُّع، وإظهار الغاية التي ينالونها حين دخول الجنات، مع ما في النعيم من العموم والشمول، فهو يضمُّ نعيم الأبدان ونعيم القلوب جميعاً، فأما نعيم الأبدان؛ فلا يدرك كنهه، فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 204 / 30.

(2) عبد الكريم مدرّس، مواهب الرحمن: 352 / 7.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 153 / 20.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 327 / 21، وامحمد صافي، برنامج في رحاب سورة: (المطففين).

الْأَعْيُنُ^ط وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ [الزخرف: 71]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]، وأما نعيم القلوب؛ فهو أعظم من ذلك وأدوم؛ إذ يُقال لهم - وقد عاينوا فناء الموت - : يا أهل الجنة، خلود فلا موت، وصحة فلا سقم، وشباب فلا هرم، ونعيم فلا بؤس، وتقال لهم كلمات السلام والطمأنينة من رب كريم ومن ملائكة مقربين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [البرق: 24]، فهذا النعيم الجامع بين لذة الحس وسرور النفس هو سرُّ التعبير القرآني بلفظ النعيم، دون تقييده بذكر الجنة؛ إذ المقصود الإحاطة بكل ألوان السعادة التي أعدها الله تعالى لعباده الأبرار⁽¹⁾.

غرض تنكير لفظ ﴿نَعِيمٍ﴾:

نُكر لفظ ﴿نَعِيمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾؛ للتفخيم والتعظيم، أي: في نعيم عظيم لا يُقدَّر قدره، ولا تبلغه العقول تصوّرًا ولا الخواطر وصفًا، فهو نعيم شامل كامل لا يعرف الفناء ولا النقصان، جزاء لأهل اليمين الأبرار على طاعتهم وإخلاصهم⁽²⁾.

دلالة استعمال حَزَفِ الاستعلاء:

لما كان من أبلغ صور النعيم أن يعلو الإنسان مكانًا رفيعًا يجلس عليه في سكون وبهجة، مُطلًا يبصره على ما يشتهي من ألوان اللذة والسرور؛ عبّر عن ذلك بقوله: ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ﴾، أي: على الأسرة الرفيعة المزيّنة؛ إشارة إلى رفعة المقام وسمو المنزلة؛ إذ لا يكون الاستعلاء هنا لمجرد الجلوس، بل رمزًا إلى علو الدرجة وكرامة المنزلة عند الله تعالى⁽³⁾.

تعظيم النعيم
وتفخيم شأنه
من رب رحيم

الإشارة إلى علو
الدرجة وكرامة
المنزلة عند الله
تعالى

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 916.

(2) ابن عجيبة، البحر اللديد: 8 / 263.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 327.

توجيه تخصيص لفظ ﴿الْأَرَائِكِ﴾ بالذكر:

الأرائك ترمز
لرفاه العيش
وعلو النزلة

الأرائك: جمع أريكة، والمراد بالأرائك: السرر في الحجال، وقد خُصَّ بالذكر؛ للدلالة على رفاه العيش وعلو المنزلة، فالأبرار في نعيم لا يُقدَّر قدره، يجلسون على تلك السرر المعدة إعدادًا بديعًا تليق بكرامتهم، يتأملون ما يحيط بهم من مظاهر الجمال والسرور، وما يبهج نفوسهم، ويزيدهم نعيمًا فوق نعيم⁽¹⁾، والأرائك من النعيم النادر عند العرب، وهو مما تشتهيه الأنفس؛ لنفاسته ونُدرة المتكئين على الأرائك، فهو يرمز لأدوات الترفيه الرفيعة، ووسائل التمتع الشريفة، فخصه النظم بالذكر؛ للتنبيه على بعض النعيم، ولتقريب صورته من الأذهان.

نكتة تقديم الجار والمجرور:

ذكر اللذة
والنعيم ابتداءً
تشويقًا لما يكون
فيها

قُدِّمَ الجار والمجرور ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على فعل ﴿يَنْظُرُونَ﴾؛ للاهتمام بالمقدم إحياءً بعظم النعيم ولذته، فهو المقصود بالنعيم، وبه بدأ النظم؛ إذ إنَّ النظر من فوق الأرائك أبهى وأمتع للنفس من النظر حال الجلوس على الأرض أو الفُرش؛ لما فيه من رفعة المنزلة وتمام النعيم⁽²⁾، وفي التقديم تشويق لمعرفة ما الذي يصنعونه على الأرائك، فيأتي ذكر النظر للبيان، مع مراعاة الفاصلة القرآنية.

نكتة اختيار مُفْرَدَةِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾:

النَّظَرُ يَجْمَعُ لَذَّةَ
الْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ
وإدراك القلب
المعنوي

آثر البيان القرآني التعبير بمفردة النظر في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، دون الرؤية أو المشاهدة؛ إذ يَحْمِلُ فعلُ النظر معنى التمتع البصري والتأمل القلبِيَّ معًا، فالنظر في العريضة لا يَفْتَصِرُ على مجرد الرؤية، بل يدلُّ على التوجُّه بالبصر مع إعمال الفكر والبصيرة، فهو نظر العين، ونظر القلب أيضًا⁽³⁾، ولذلك كان

(1) الطنطاوي، التفسير الوسيط: 326 / 15.

(2) الباليساني، حسن البيان في تفسير القرآن: 2860 / 6.

(3) العسكري والجزائري، معجم الفروق اللغوية، ص: 543.

التعبير به أدق في تصوير حال الأبرار في دار النعيم، فهم لا يكتفون بالمُشاهدة، بل يتأملون ما حوّلهم في جنة الخلد نظر متعمّم متمتع، يملأ عينه وقلبه بالبهجة والرضا.

نكتة حذف مفعول ﴿يَنْظُرُونَ﴾:

حُذِفَ مفعولُ الفِعْلِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾؛ لإفادَةِ العموم، فنظرُ الأبرار على الأرائك يُحيط بالمكانِ كُلِّهِ، فيشمل، ويعمُّ كلَّ ما تقع عليه أبصارُ الأبرار من ألوان النعيم والبهجة⁽¹⁾ في الجنّات، ولما كانت الملماتُ كثيرةً وعميمةً؛ ناسب أن يُحذفَ المفعول؛ ليعمّها، وأيضًا فإنّ من فوائد حذفِ المفعول العنايةَ بالفعلِ نفسه، فالنظر مقصودٌ لذاته باعتباره نعمةً من نعم الجنة، فهم ينظرون نظرَ المتعة واللذة والاسترخاء، بقطع النظر عما ينظرون إليه.

فِعْلُ النَّظَرِ فِي
الْجَنّاتِ لِدَّةٍ
مَقْصُودَةٌ وَنِعْمَةٌ
مَحْمُودَةٌ

وقال بعضُ أهل التفسير: إنّ الله سبحانه أثبتَ فِعْلَ النَّظَرِ دون تقييدِ المفعولِ به؛ مراعاةً لاختلاف الأبرار في أحوالهم وملذّاتهم، فبعضُهم ينظرُ إلى قصوره، وبعضُهم إلى حوره، وبعضهم إلى ثمرات جنّاته وأشجارها، والخواصُّ المُقربون ينظرون إلى ربهم الكريم، فتكون الرؤية متجددة ومتعددة بحسب مقام كل واحد منهم ودرجة تقربه⁽²⁾.

جاء ذكرُ نظرِ الأبرار في مُقابلة ما سبقَ من وصفِ حالِ الفجار المحجوبين عن النظر، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فكما حُجب أولئك عن رؤية مولاهم عقوبةً لهم؛ أكرم الأبرار بأن أُبيح لهم النظر إلى وجهِ الله الكريم جزاءً على طاعتهم، فهم على الأرائك في مقاعدِ نعيمهم، يتلذذون بالنظر

دَلَالَةُ الْمُقَابِلَةِ بَيْنَ
هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ
نَظَرِ الْأَبْرَارِ وَمَا
قَبْلَهُ مِنْ حُجْبِ
الْفُجَّارِ

(1) الطنطاوي، التفسير الوسيط: 326 / 15.

(2) القشيري، لطائف الإشارات: 702 / 3، وملا علي القاري، أنوار القرآن وأسرار الفرقان: 292 / 5.

إلى ربِّهم، وهذا أسمى نعيم يعلو كلَّ نعيم⁽¹⁾، وعليه فتكون دلالة المُقابلة معيَّنة المنظور إليه، ويكون حذفُ المفعول به من بابِ زيادة الإكرام، وليؤخَذَ المقصودُ من فحوى الكلام وإيمائه؛ زيادةً في تفخيم الأمر.

توجيهُ فضلِ جُملةٍ ﴿تَعْرِفُ﴾ عمَّا قبلها:

جملةٌ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ يَحْتَمِلُ أن تكون خبرًا ثالثًا، وهو الأولى بالمقام، ويَحْتَمِلُ أن تكون حاليَّةً⁽²⁾، فلا فصلَ على هذينِ الوجهين؛ لأنَّه لا يُفصلُ بين المبتدأ والخبر، أو الحالِ وصاحبها، ويَحْتَمِلُ أن تكون مُستأنفةً، سيقَّت لتوجيهِ السَّامعِ إلى تأملِ حال الأبرار، ودعوته إلى الالتفاتِ إليهم؛ ليرى بعينه ما يفيض على وجوههم من إشراقِ النِّعيمِ وآثاره الباديةِ عليهم، والتَّأَمُّلُ في آثارِ النِّعيمِ على وُجُوهِهِمْ؛ إظهارًا لآثارِ النِّعيمِ في مُحيَّاهم بعد أن يَبينَ نعيمُهم في مجالسهم⁽³⁾، والقول بالخبريَّةِ أولى من الاستئناف؛ لأنَّ ما جاء فيها هو من أحوالهم المُخْبِرُ عَنْهَا المتابعة.

تعيينُ مَرَجِعِ الخطاب:

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ليس موجَّهًا إلى شخصٍ بعينه، بل هو عامٌّ لكلِّ أحدٍ ممَّن له حظٌّ من الخطاب؛ إذ المقصودُ أنَّ آثارِ النِّعيمِ باديةٌ على وجوههم بحيث يراها كلُّ ناظر، ولا يختصُّ بإدراكها أحدٌ دون أحد، وهذا الأسلوب من توجيهِ الخطابِ العامِّ في مقامِ وَصْفِ المَشَاهِدِ الجليَّةِ مِنْ طرائقِ العَرَبِ في البيان؛ لما فيه من إشراكِ السَّامعِ في عَظَمَةِ المَوْقِفِ واستِحْضارِ صورَتِهِ⁽⁴⁾.

الخبريَّة أقوى
الاحتمالات،
فالحاليَّة،
والفصلُ بناء
على الاستئناف

آثارِ النِّعيمِ
باديَّةٌ على وُجُوهِ
الأبرار تُعرف
بمجردِ النَّظَرِ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8 / 352.

(2) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 30 / 205.

(3) الدَّرويش، إعراب القرآن: 10 / 416.

(4) أبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9 / 128، وابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 30 / 205.

توجيه القراءات القرآنية:

قرأ الجمهور: ﴿تَعْرِفُ﴾ بصيغة الخطاب ونَصَبَ ﴿نَضْرَةً﴾، أي: تعرف - يا مَنْ تراهم - في وجوههم أثر النعيم وبهجته، فالمعنى موجّه إلى مَنْ يُشاهدُهم، وقرأ أبو جعفر ويعقوبُ ﴿تَعْرِفُ﴾ بصيغة البناء للمفعول وَرَفَعَ ﴿نَضْرَةً﴾، وهي أدلُّ على العموم؛ إذ يُفهم منها أَنَّ كُلَّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ؛ عَرَفَ ما هُمْ فيه من النعيم، فكانَّ العلامة باديةً على وجوههم لكلِّ مَنْ رآهم، لا يختصُّ إدراكها بناظرٍ دون آخر، ومآل المعنيين واحدٌ إلّا أنَّ قراءة الجمهور جَرَتْ على الطريقة الخاصّة في استعماله، وجرت قراءة أبي جعفر ويعقوبَ على الطريقة التي لا تختصُّ به⁽¹⁾.

بلدعة استعمال مفردة ﴿تَعْرِفُ﴾:

أثر النظم الكريم التعبير بالفعل ﴿تَعْرِفُ﴾ دون (ترى)؛ لأنَّ المعرفة أبلغ في الدلالة من مجرد الرؤية؛ إذ هي إدراكٌ قلبيٌّ يمازجُه يقينٌ لا ريبَ فيه، فالناظر إلى وجوه الأبرار يجدُّ في ملامحهم من أدلّة النعيم وآثاره ما يورثه علمًا قاطعًا بأنهم أهل السعادة والكرامة، فقد فاضت أنوار النعيم على وجوههم؛ حتّى غدت شاهدًا بيّنًا يدركه كلُّ مَنْ رآهم، بما يَظْهَرُ عليهم من إشراقٍ وبشرٍ واطمئنانٍ، كما تُعرَفُ النعمة على وجوه المترفّين من إشراقها وبهجتها، ولهذا عدل عن (ترى) إلى ﴿تَعْرِفُ﴾؛ لأنَّ الأولى تتعلّق بالمحسوس الظاهر، أمّا الثّانية؛ فتدلُّ على إدراكٍ يجمع بين الحسِّ والعقل، فكان اختيارها أليقَّ بجلال المقام، وأدقَّ في التعبير عن أثر النعيم فيهم⁽²⁾.

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 399، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 328، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 128، والقونوي، حاشية على تفسير البياضوي: 20/ 154، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 205.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 333، وإسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 371.

القراءات
القرآنية تلتقي
في المعاني
وتختلف في
اللباني

المعرفة مزج بين
حاسة النظر
وقوة الإدراك
وإشراق الفهم

بلادة استعمال حرف الطَّرْفِيَّة:

جاء التعبيرُ باستعمال حرفِ الطَّرْفِيَّة في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهم﴾ دون حرف الاستعلاء، فلم يقل: (تعرف على وجوههم)؛ وذلك لأنَّ المعرفة يُناسِبها حرفُ الطَّرْفِيَّة، فهي استغراقُ شهوديٍّ لملاحِ الوجوه وما تَكْتَنِزُهُ مِنْ معانٍ شريفة، فالطَّرْفِيَّة تُصَوِّرُ إشرافاً ينبعُ مِنْ داخلها، ويُرَى في قِسماتِها، وَيَسْتَعْرِقُ ملامِحَها، حتَّى كأنَّها قد سَرَتْ في الوجوه نفاذاً وذوباناً لا عُلُوقاً سَطَحِيّاً⁽¹⁾، وتكون النَّصْرَةُ في الوجوه؛ لأنَّ آثارها فيها، كقوله تعالى: ﴿وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [إيس: 38]، أي: مُضِيئة⁽²⁾، فحرف الطَّرْفِيَّة أبلغُ من الاستعلاء؛ إذ يَشْعُرُ بأنَّ أثر النِّعيم قد تخلَّل الوجوه إلى القلوب، فصار كالسِّمة الباطنة التي يَشْهَدُها كلُّ ناظر بعين البَصِيرَةِ قبلَ عين البَصَرِ.

توجيه تخصيص الوجوه بالذكر:

خُصَّت الوجوه بالذكر؛ لأنَّها مَوْضِعُ التَّلَاقِي والنَّظَرِ بَيْنَ النَّاسِ، فالنَّاظِرُ إنَّما يوجَّه بصره إليها دون سائر الأعضاء، فهي محلُّ التَّعارف، ومَظْهَرُ ما في النَّفْسِ مِنْ سرورٍ أو حزنٍ؛ ولذلك كان تخصيصُها بالذكر أبلغَ في تصوير آثار النِّعيم على أصحابها⁽³⁾؛ إذ الوجوه هي أقوى ما يَظْهَرُ فيها محاسِنُ النُّفُوسِ، وطُمأنينةُ القلوب، وسلامةُ الصُّدُور، وراحةُ البالِ الماكثِ في الأبدان، فإذا صَحَّتْ الأبدانُ؛ أَشْرَقَتْ وُجُوهُها، فالوجوه علامةٌ فارقةٌ على حقائق المغيبات، وهي رمزُ الرَّاحةِ والسَّعادة، وهذا أولى مِنَ القولِ بأنَّها مجازٌ مرسلٌ علاقتهُ الجُزئيةُ، بإطلاقِ الجُزءِ وإرادةِ الكلِّ.

نكتة استعمال لَفْظِ ﴿نَضْرَةٌ﴾:

آثر النظم القرآني استعمالَ مُفْرَدَةِ النَّضْرَةِ في قوله تعالى:

إشرافُ الوجوه
ينبُعُ من
داخلها، ويُرَى
في قِسماتِها،
ويستَغْرِقُ
ملايحَها

الوجوهُ رَمَزُ
السَّعادةِ
وَمَكْمَنُ
الطُّمأنينةِ، فإذا
صَحَّتْ؛ كانت
علامةً صَحَّةِ
الأبدانِ

نَضْرَةُ الوجوه
دليلُ صفاءِ
العَيشِ ودوامِ
الرَّاحةِ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1495 / 16.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 154 / 20.

(3) للتأريدي، تأويلات أهل السنة: 464 / 10.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾؛ لأنَّ النُّضْرَةَ هي المختصَّة بالوجه، فالنُّضَارَةُ هي الإشراق والصفاء، الذي يدلُّ على تمام النعمة وبلوغ الغاية في التَّرف والسُّرور، فهي بهجة تَعْلُو الملامح، وسرور يفيض من نور القلوب المطمئنة بِفَضْلِ اللَّهِ تعالى وِرِضاهُ، وفي التَّعبير بها إشارة دقيقة إلى صفاء عَيْشِهِمْ ودوامِ راحَتِهِمْ؛ إذ النُّضْرَةُ لا تَجْتَمِعُ مَعَ تَعَبٍ وكَدَرٍ، وفيها أيضًا رَمَزٌ لِعَدَمِ النَّوْمِ؛ لأنَّه يَسْلُبُ نورَ الوجه، وَيُغَيِّرُ بَهْجَتَهُ⁽¹⁾.

دلالة الإضافة ونوعها:

أُضِيفَ لفظ ﴿نَضْرَةَ﴾ إلى ﴿النَّعِيمِ﴾ على معنى (من)، أي: نضرة من النِّعَمِ، فتكون بمعنى السَّبَبِيَّةِ، فهي من إضافة المسبَّبِ إلى سببه؛ لأنَّ ما يبدو على وجوه الأبرار من إشراقٍ وبهجةٍ إنّما هو أثر ما هُم فيه من النِّعَمِ المُقِيمِ، فالنِّعَمُ هو الأصلُ، والنُّضْرَةُ ثمرته الظَّاهِرةُ على الوجوه؛ إذ تَنَعَّكُسُ سعادةُ القلبِ وطمأنينته إشراقًا ونورًا على الملامح⁽²⁾، وفي هذه الإضافة إيماءٌ إلى أنَّ ذلك الجمال والبهاء ليس مُنْقَطِعًا زائلًا كما في نعيم الدُّنيا، بل هو نضرة خالدة دائمة، تلازم أصحابها ما داموا في نعيمٍ لا يفنى، وشبابٍ لا يبلى، وسرورٍ لا يزول⁽³⁾.

نَضْرَةُ الْوُجُوهِ
بِسَبَبِ النَّعِيمِ
الْمُقِيمِ،
فَالإِضَافَةُ مِنْ
إِضَافَةِ الْمُسَبَّبِ
إِلَى سَبَبِهِ

معنى تعريف لفظ ﴿النَّعِيمِ﴾:

(ال) في لفظ ﴿النَّعِيمِ﴾ للعَهْدِ الذِّكْرِيِّ، أي: النِّعَمِ المذكور في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، فهو نعيمٌ مُحِيطٌ بهم من كُلِّ جانب، غَمَرَهُمْ بلدَّاته حتَّى ظَهَرَتْ علاماته إشراقًا على وُجُوهِهِمْ⁽⁴⁾.

(1) الليداني، معارج التَّفَكُّر: 330 / 15، وآل غازی، تفسير القرآن العظيم: 516 / 2.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 154 / 20، والطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 326 / 15.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 205 / 30.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1495 / 16، والليداني، معارج التَّفَكُّر: 330 / 15.

دلالة التعبير بمفردة «يُسْقَوْنَ»:

الأبرار
مخدومون في
دار النعيم لا
خدمة

جاء التعبير بالفعل المضارع المبني للمفعول «يُسْقَوْنَ» بدلاً من (يَشْرَبُونَ)، في قوله تعالى: «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ»؛ لأنَّ السَّقَايَةَ تدلُّ على أَنَّهُمْ مَخْدُومُونَ، وَلْيُصَوِّرْ حَالِ الْأَبْرَارِ فِي مَقَامِ الْإِكْرَامِ وَالنَّعِيمِ، فَهُمْ مَخْدُومُونَ لَا خِدْمَةَ، يُسْقَى لَهُمْ، وَلَا يَسْعُونَ هُمْ لِلسُّقَايَا، فَلَا كَلْفَةَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَمَامِ التَّرَفِّهِ وَالرَّاحَةِ، وَأَنَّهُمْ فِي دَارِ نَعِيمٍ لَا تَعَبَ فِيهَا وَلَا نَصَبَ؛ إِذْ يَقُومُ غَيْرُهُمْ بِخِدْمَتِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، بِخِلَافِ حَالِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تُتَالُ فِيهَا اللَّذَائِدُ إِلَّا بِبَذْلِ الْجُهْدِ وَالْمَشَقَّةِ⁽¹⁾.

دلالة استعمال مُفردة «رَحِيقٍ»:

شراب أهل
الجنة كامل
الصَّفَاءِ
والطَّهارة واللَّذَّة
والبهاء

اسْتَعْمِلَتْ لَفْظَةَ «رَحِيقٍ» دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَلْفَاظِ الْخَمْرِ؛ لِأَنَّهَا أَدْقُ فِي تَصْوِيرِ صِفَاءِ ذَلِكَ الشَّرَابِ وَنَقَائِهِ التَّامِّ، فَهُوَ خَمْرٌ خَالِصٌ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ أَوْ شَائِبَةٍ، صَافٍ فِي لَوْنِهِ، طَيِّبٌ فِي رَائِحَتِهِ، نَقِيٌّ فِي جَوْهَرِهِ، لَا يُذْهَبُ الْعَقْلُ وَلَا يُورِثُ أَذًى، بَلْ هُوَ خِلَاصَةُ الْخَمْرِ وَأَصْفَاها وَأَجْوَدُها⁽²⁾، فَاخْتِيرَتْ مُفْرَدَةً «رَحِيقٍ»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الصَّفَاءِ وَالطَّهَارَةِ وَاللَّذَّةِ وَالْبَهَاءِ فِي شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

دلالة وصف الرِّحِيقِ بكونه مَخْتُومًا:

الختم إيماء إلى
تمام الصيانة
وكمال الحفظ
وعلو اللذة

وُصِفَ الرِّحِيقُ بِأَنَّهُ مَخْتُومٌ لِلإِشَارَةِ إِلَى عِظَمِ قِيَمَتِهِ وَنَفَاسَتِهِ؛ إِذْ لَا يُخْتَمُ إِلَّا عَلَى الشَّيْءِ الْكَرِيمِ الْمَصُونِ الَّذِي يُرَادُ حِفْظُهُ مِنَ الْغَشِّ وَالْإِخْلَاطِ، كَمَا يُوحِي الْوَصْفُ بِأَنَّهُ مُعَدُّ فِي أَوَانِيهِ مُهَيَّأً لِلتَّقْدِيمِ، مُقْفَلَةٌ عَلَيْهَا بِعُنَايَةٍ حَتَّى يَقُوكَ خَتَمَهُ الْأَبْرَارُ سَاعَةَ الشَّرَابِ، مِمَّا يَعْكُسُ صُورَةَ الْعُنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْفَائِقَةِ وَالتَّكْرِيمِ الْبَالِغِ لِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ إِنَّ فِي خَتَمِهِ دَلَالَةً عَلَى كَمَالِ طَهَرِهِ وَعُلُوِّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 328، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 205.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 264، والطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 326.

درجته، فهو أرفع قدرًا من أنهار الجنة الجارية، وأدُلُّ على التنزيه والصفاء والاختصاص⁽¹⁾.

دلالة تعدد الأخبار في تصوير المشهد:

تعددت الأخبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾، وجاءت متعاقبة؛ ليُبنى بها مشهد مترقٍّ من النعيم: نعيم المقام، ونعيم النظر، ونعيم السمّت، ونعيم الشّراب، فالتّعدد هنا ليس تكرارًا، بل تصويرٌ متلاحق يرسّم نعيم الأبرار في أحوال من البهجة والكرامة، على طريقة العرب في تفصيل المعنى الواحد بوجوه تزيده رونقًا وجمالاً⁽²⁾.

توجيه فضل قوله: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ عما قبله:

قولُ الله تعالى: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون صفةً للرّحيق، فلا فصلَ على هذا؛ لأنّ من شأن الصّفة اتّصالها بموصوفها، ويَحْتَمِلُ أن يكون بيانًا بعد إجمال، يُفصّل ما أُجمل في وصفه بأنّه مختوم، أو هو استئناف بيانيّ جيء به جوابًا عن سؤالٍ قد يخطر في ذهن السّامع حين يسمّع قوله: ﴿مَخْتُومٍ﴾: ما نوع هذا الختام؟ وبمّ ختم؟ إذ جرت العادة أن يُختم الشّراب بطينٍ أو نحوه، فجاء البيان الإلهي؛ ليبيّن الختام الطّيب الذي يليق بطهر الرّحيق وكرامة أهله⁽³⁾.

بلادة التشبيه البليغ:

في قوله تعالى: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ يتجلّى تشبيهٌ بليغٌ حُدِثَتْ أداتُه؛ للمبالغة في بيان طيب ذلك الشّراب وعلوّ شأنه، فأخِرَ ما

رَسَمَ صُورَةَ
مُتَكَامِلَةٍ لِلنَّعِيمِ
تَتَجَدَّدُ مَعَ كُلِّ
خَبَرٍ

الْخَتَامُ الطَّيِّبُ
يَلِيْقُ بِطَهْرِ
الرَّحِيقِ وَكَرَامَةِ
أَهْلِهِ

الْمُبَالَغَةُ فِي
بَيَانِ طَيْبِ ذَلِكَ
الشَّرَابِ وَعُلُوِّ
شَأْنِهِ

(1) الغوي، معالم التنزيل: 367 / 8، والصّاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين: 342 / 4، وشحاته، تفسير القرآن الكريم: 6411 / 30.

(2) امحمد صافي المستغنامي، برنامج في رحاب سورة: (لطفّين).

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 206 / 30.

يذوقه الشَّارِب من خمر الجَنَّة المسكُ الخالصُ في عطره ونفاسِته، والتَّشْبِيه في الآية من أبداع ضروب تشبيه المحسوسِ بالمحسوسِ؛ إذ يُقَرَّب المشهد إلى الحسِّ والنَّفْس معاً، فيجعل ختام الشَّراب كالمسك في رائحته الزُّكِيَّة، فيمتزج الجمال الحسِّيُّ بالمتعة الروحيَّة، ولأنَّ المشبَّه به - وهو المسكُ - من عناصر البيئة العربيَّة المألوفة في حياتهم وعطورهم، فقد جاءتِ الصُّورة قريبة المأخذِ شديدة الأثر، باقيةً في الوجدانِ والبيان⁽¹⁾.

توجيه القراءات القرآنية في ﴿خَتَمُهُ﴾:

اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾، فقرأ الكسائيُّ ﴿خَتَمُهُ﴾ - بفتح الخاءِ وألفٍ بعدها - وقرأ الباقر بكسر الخاءِ من غير ألفٍ بعدها، وبالألفِ بعد التَّاءِ ﴿خَتَمُهُ﴾، ولا خلافَ عنهم في فتح التَّاءِ⁽²⁾، وقد ورد في تفسير الآية على قراءة الجمهور قولان: أنَّ ختامه مِسْكٌ، أي: إنَّ آخر شُرْبهم منه تكونُ رائحته كرائحة المسك، فيجد الشَّارب عند تمام الكأس عبيراً زكياً، أو أنَّ أوانيه مختومةٌ بالمسك بدل الطِّين الذي كان يُختم به الشَّراب في الدُّنيا؛ إشارةً إلى طيبِ الرائحة وصفاء الشَّراب، أمَّا مَنْ قرأ: ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾؛ فالمعنى: أنَّ آخر شُرابه مِسْكٌ⁽³⁾.

نوع الواو ودلالاتها:

جاءت الواو في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ واو عطفٍ، عطفت بها هذه الجملة على ما قبلها لما يليقُ بمقام الحثِّ والترغيب، بعدما تقدَّم من وصف النِّعيم ولذته الذي يليقُ أن توجه نحوه همُّ المتنافسين⁽⁴⁾.

اتِّفَاقُ الْقِرَاءَاتِ
عَلَى أَنَّ الْخَتَامَ
فِي الشَّرْبِ مِسْكٌ

(1) ابن علي محمد، الإبداع البياني في القرآن العظيم: 399/1، وبدوي، من بلاغة القرآن، ص: 196.

(2) ابن الجزري، التَّشْرِيحُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْر: 399/2.

(3) الزُّمَخْشَرِي، الْكُشَاف: 723/4، وملا علي القاري، أنوار القرآن: 293/5.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 329/21.

بلادة استعمال اسم الإشارة للبعيد:

التعبير باسم الإشارة للبعيد في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ يرمز إلى أمرٍ جليلٍ رفيعٍ القدر، بعيد المنال، وهو ما أُعدَّ للأبرار من نعيمٍ وشرابٍ طاهرٍ وصفه الله تعالى بأبلغ وصف⁽¹⁾، وقد جاءت الإشارة إلى الرّحيق على وجه الخصوص، أو إلى جميع ما سلف من مظاهر نعيمهم، فاستعمل اسم الإشارة للبعيد؛ للدلالة على علو مقام ذلك النعيم وسمو درجته، أو لأنه واقع في الجنة، أي: في ذلك النعيم السامي وحده؛ فليوجه المتنافسون رغبتهم دون سواه⁽²⁾.

علو مقام
النعيم وسمو
درجته تغري
العابدين وتحث
المقربين

فائدة تقديم الجار والمجرور:

جاء تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾؛ لإفادة معنى الحصر والقصر، أي: في هذا النعيم العظيم - لا في لذائذ الدنيا الزائلة - ينبغي أن يكون التنافس والتسابق، فالتقديم يبرز العناية بما أُشير إليه، ويوجه الأنظار إلى عظم شأنه وسمو مرتبته، فهو موضع الجد والاجتهاد، وميدان المسابقة الحقيقية⁽³⁾، وأيضاً فإن فيه تعريضاً بنعيم الدنيا الزائل، وترف الحياة الدنيا الفاني، وفي هذا الأسلوب القرآني دعوةً بليغة إلى صرف الهمم نحو النعيم الأبدي، وإعراضٍ عن متاع الحياة.

التعريض
بنعيم الحياة
الدنيا، وقصر
وجوب التنافس
في نعيم الآخرة

نوع الفاء ودلالاتها:

جاءت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾؛ لترابط الكلام بما قبلها، وهي تحتمل أن تكون فصيحة، أي: أفصحت عن شرطٍ مقدّر، كأنّ المعنى: إذا علمتم ما في هذا النعيم من وصفٍ وجلالٍ؛ فحينئذٍ ليتسابق إليه المتسابقون، فهي تفصح عن نتيجة

الأمر بالتنافس
بعد بيان
نتائجهِ وممرته
من محاسن
الرغبة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 329.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9 / 128.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 16 / 349، 350، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9 / 128، وابن عاشور،

التحرير والتأوير: 30 / 206، 207.

تقتضيها عظمة ما ذكر من النعيم⁽¹⁾، ويجوز أن تكون فاء تفريع على محذوفٍ مُقدَّر، أي: تنافسوا في ذلك النعيم، فليتنافس المتنافسون، وفي هذا تكريرٌ للفعل وتوكيدٌ لمعناه، مع ما يُفيده تقديم الظرف من تخصيصٍ وحصرٍ، فالْتَنَافُسُ الحَقُّ ليس في زخارف الدنيا، بل في نعيم الآخرة الذي لا يفنى⁽²⁾.

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ مُفْرَدَةِ التَّنَافُسِ:

أثر النظم الكريم اختيارَ مادّة التَّنَافُسِ، وجاءت بصيغة الأمر؛ لما توحى به من دقّة في المعنى وقوّة في الدلالة؛ إذ الأصلُ فيها أن يتسابقَ اثنان أو أكثرُ في طلبِ أمرٍ نفيسٍ يحرصُ عليه النَّاسُ، وتعلّقُ به نفوسُهُم، فيرغبُ كلُّ واحدٍ أن يستأثّرَ به دونَ غيره، وهو دليل على النَّفَاسَةِ لِعِزَّةِ الشَّيْءِ وارتفاعِ قدره، والتَّنَافُسُ على هذا تغالبٌ في اقتناء ما يُعدُّ عزيزًا كريمًا⁽³⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ التَّفَاعُلِ:

جاءت صيغة التَّفَاعُلِ في قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾؛ للإفصاح عن شِدَّةِ الجِدِّ والاجتهادِ في المُسَابَقَةِ، وتوحي بالمبالغة في السَّعي والرَّغبة، وفيها إيماءٌ إلى أنَّ التَّنَافُسَ الحقيقيَّ إنّما ينبغي أن يكونَ في ميادين الخُلُودِ والكرامةِ الإلهيّة، لا في متاعٍ فانٍ سريع الزوال، كما هو حال المُطَفِّفِينَ الَّذِينَ يَتَنَافَسُونَ على جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا من أَوْجِهٍ مُحَرَّمَةٍ. وَمِنْ أَكَلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ⁽⁴⁾.

غَرَضُ فِعْلِ الْأَمْرِ:

فعلُ الأمرِ: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾ جاءَ لِلتَّحْرِيزِ والحثِّ؛ إذ المقصودُ

النَّفَاسَةُ صِفَةٌ
لِلشَّيْءِ الْعَزِيزِ
النَّادِرِ الْمُرْتَفِعِ
قَدْرُهُ

الإفصاح عن
شِدَّةِ الجِدِّ
والاجتهادِ
في المُسَابَقَةِ
إلى تحصيلِ
الفضائلِ

(1) محمّد إبراهيم، إعراب القرآن الكريم الميسر: 1/ 588، وابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30/ 206،

207، والضايفي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 275، والعلوان، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2653.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30/ 206، 207.

(3) ابن جزي، التَّسْهِيلُ: 2/ 462، والواحدي، التَّفْسِيرُ البسيط: 23/ 341.

(4) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 9/ 128، وعبد الملك قاسم، عقد الجمان: 1/ 1276، والميداني،

معارج التَّفَكُّر: 15/ 330.

استنْهَاضُ الْهِمَمِ، ودفعُ النَّفُوسِ إِلَى الْمُسَارَعَةِ وَالْمُغَالَبَةِ فِي نِيلِ ذَلِكَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ⁽¹⁾.

بِلَاغَةُ الْإِعْزَاضِ وَدَلَالَتُهُ:

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ جاء في موقع بديع من النَّظْمِ، فهو اعتراضٌ أُدرج بين قوله تعالى: ﴿حَتَّمُهُ مِسْكٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾؛ ليؤدِّي وظيفةً بلاغيَّةً دقيقةً في توجيه الأنظار وإثارة الهمم بتقرير نفاسته، وهو يفصل بين وَصْفَيْنِ مِنْ أوصافِ نعيم الأبرار؛ لِيَلْفَتَ النَّفُوسَ إِلَى ميدانِ السَّبْقِ الْحَقِيقِيِّ، ويوقظ فيها رُوحَ التَّنَافُسِ الشَّرِيفِ فِي طَلَبِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ⁽²⁾.

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ هي واو العطف، وقد جاءت لعطف جملة تصف الرِّحِيقَ بصفةٍ أخرى تُكْمِلُ جَمَالَ الْمَشْهَدِ، فهي عطفٌ صفةٍ على صفةٍ؛ إذ كما وُصِفَ خِتَامُهُ بِأَنَّهُ مِسْكٌ، وَصِفَ مِزَاجُهُ بِأَنَّهُ مِنْ تَسْنِيمٍ، أي: من شرابٍ عالٍ رفيع المنزلة، فجمعت الآيات بَيْنَ طيبِ خَاتِمَةِ الرِّحِيقِ ورفعة الممزوج به؛ لِتَكْتَمِلَ صُورَةُ النَّعِيمِ فِي أَبْهَى مَعَانِيهَا⁽³⁾.

دلالة التعبير بلفظ (مِزَاجُهُ) مادةً وصيغةً:

لفظ (مِزَاجُهُ) مأخوذٌ من المِزْجِ، وهو الخلط بَيْنَ شَيْئَيْنِ حَتَّى يَتَدَاخَلَ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ، وأصله مصدرٌ مِنَ الْفِعْلِ مَازَجَ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أي: الشَّيْءِ الَّذِي يُمَزَّجُ بِهِ الشَّرَابُ، وقد كان أهل الدنيا يمزجون خَمَرَهُمْ بِالْمَاءِ لِتَلَطِيفِ شِدَّتِهَا وَتَعْيِيمِ أَثَرِهَا

توجيه النفوس
إلى التنافس في
تحصيل النعيم
الأخروي لا
خطام الدنيا

الجمع بين طيب
خاتمة الرِّحِيقِ
ورفعة الممزوج
به

شراب الجنة
مخلوط بما
تشوق إليه
النفوس من
أطيب ما يُعرف
في الدنيا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/30.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 129/9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/30.

(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 372/10، وابن عجيبة، البحر اللديد: 264/8.

في النَّفْس؛ طلباً لنشوةٍ مُعتدلةٍ لا تُذهب العقولَ بِسُرْعَةٍ، بل تمتدُّ لَدَنتها وتُدوم، فجاء التَّعبير القرآنيُّ بهذا اللَّفظ: لِيُقَرَّبَ المعنى إلى الأذهان، وَيُبينَ أَنَّ شرابَ الجَنَّةِ ممزوج بما تشوَّق إليه النَّفوس من أَطيب ما يُعرف في الدُّنيا، بل بما هو أَصْفى وألذَّ، فزادهم بذلك شوقاً ورغبةً في ذلك النِّعيم المُقيم⁽¹⁾.

بلاغةٌ مُناسبة لفظ ﴿تَسْنِيمٍ﴾ مع أَلْفاظ السُّورة:

شرفُ العين
وسمُو قدرها
مناسبٌ لمكانةِ
الأبرار وعلوِّ
مَنزِلَتِهِم

لفظ ﴿تَسْنِيمٍ﴾ اسمٌ عينٍ في الجَنَّةِ، جَعَلَهَا اللهُ تعالى تَجْري من عُلُوٍّ، فَيُصَبُّ ماؤها في أواني أهلِ الجَنَّةِ، وأصل الكلمة في اللغة يدلُّ على العُلُوِّ والارتفاع، ومنه سُمِّيَ السَّنام لارتفاعه، وسُمِّيَ الماء به لارتفاعه وانصبابه من عُلُوٍّ، فجاء هذا الاسمُ عَلَماً على تلك العين المباركة التي تَصُبُّ من مكانٍ مرتفع، وهذا يدلُّ على شرفها وسمُوِّ قدرها، ولفظ ﴿تَسْنِيمٍ﴾ من الجذور العربيَّة، غيرَ أَنَّهُ لم يُعرف في كلام العرب قبل القرآن، فهو من مُبتكرات القرآن البيانيَّة المُفيدة للمعاني السَّامية التي تليق بنعيم الجَنَّة⁽²⁾، وقد تناسب هذا اللَّفظُ مع دلالاتِ العُلُوِّ والرَّفعة لأهل الجَنَّة المذكورة في السُّورة، من مثل: ﴿الْأَبْرَارُ﴾، و﴿عَلِيَّينَ﴾، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، فالألفاظ المستعملة والتراكيب المختارة، بل أحرف الاستعلاء الواردة، تواردت على معنى العُلُوِّ والرَّفعة، وهي ما يُحقِّق الانسجامَ الموضوعيَّ بين الألفاظ المختارة.

غرضُ تنكير لَفْظِ ﴿عَيْنًا﴾:

جاء لفظ ﴿عَيْنًا﴾ نكرةً للتَّفخيم والتَّعظيم؛ إذ تدلُّ على عينٍ عظيمةٍ جليلةٍ من عيون الجَنَّةِ، لا يُحيط الخلقُ بحقيقتها، ولا يبلغون وصفها، ولا يعلم كُنْهها إلا اللهُ ﷻ.

(1) للاتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/465، وابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر: 30/207.

(2) ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر: 30/208، والقاسمي، محاسن التَّأويل: 9/434.

نوع الباء ودلالاتها البيانية:

التعبير بقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ تضمّن بلاغةً دقيقةً في اختيار الحرف؛ إذ جاءت الباء؛ للدلالة على معانٍ مُتعدّدة تزيد المعنى ثراءً، فقد تكون صلةً على معنى (يشربها)؛ للمبالغة في اتّصالهم بها، أو تكون بمعنى (من)، أي: يشرب منها؛ إشارةً إلى تكرار النعيم وتجده، أو تكون على أصلها؛ لتفيد التّضمن، أي: جعل (يشرب) بمعنى (يروى) أو (يلتذّ)⁽¹⁾، ويَحْتَمِلُ أن تكون الباء للسببية، أي: يشرب بسببها، أي: بما يَمْتَزِجُ مِنْ شَرَابِهِمْ بِهَا⁽²⁾.

تضمن (يَشْرَبُ)
معنى الارتواء
أولى الأقوال
بالرّواء

توجيه تخصيص المقرّبين بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الكريم المقرّبين بالذكر في كونهم يَشْرَبُونَ مِنْ التَّسْنِيمِ في قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، في أنّ الله تعالى جعل شراب الأبرار ممتازاً من هذه العين الكريمة، بينما جعل شراب المقرّبين منها خالصاً غير ممزوج؛ جزاءً لصفاء أعمالهم وتمام إخلاصهم، فكما كانت أعمال المقرّبين خالصةً لله تعالى لا يشوبها رياءٌ ولا التفاتٌ إلى حظٍّ دنيويٍّ؛ جوزوا بشرابٍ خالصٍ صافٍ من التَّسْنِيمِ، وكما كانت أعمال الأبرار ممزوجةً بين الطّاعة والمباح؛ جاء شرابهم ممزوجاً من تلك العين العالية، فهو مشهدٌ بليغٌ يجسّد قاعدةَ الجزاء من جنسِ العمل، ويُظهر عدلَ الله تعالى وفضلهً ولطفه في ترتيب النّعيم على مراتب الإخلاص⁽³⁾.

لطائف القرآن
الإشاريّة لا
تتناهى ومزيج
دلالاته بها
يتباهى

مناسبة ذكر المقرّبين في مقام التّنعّم بالتّسْنِيمِ:

أكرم المقرّبون بمنزلةٍ عاليةٍ تُشرف على عين التّسْنِيمِ، فكانوا

(1) الفراء، معاني القرآن: 249/3، والزجاج، معاني القرآن: 301/5، والزمخشري، الكشاف: 723/4،

والعكبري، التّبيان: 1277/2، والحلي، الدّر اللّصون: 726/10، والأوسي، روح المعاني: 283/15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 330/21.

(3) ابن القيم، طريق الهجرتين، ص: 194.

أَقْرَبَ النَّاسِ مَوْرِدًا مِنْهَا، وَأَوْفَرَهُمْ حِطًّا مِنْ صَفَائِهَا وَنَقَائِهَا؛
لَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا نَسِيمَ الْقُرْبِ مِنْهَا، وَنَالُوا مِنْ عَبِيرِهَا نَصِيبًا يَلِيقُ
بِمَكَانَتِهِمُ الْعَالِيَةِ⁽¹⁾.

❁ الفروق المعجمية:

النَّظَرُ وَالْبَصَرُ وَالرُّؤْيَا:

الإبصارُ يتميز
بالوضوح،
والرؤية تتميز
بالعلم، والنظر
يُمَيِّزُهُ التَّأَمُّلُ

النَّظَرُ هو عبارة عن تقليب العين نحو المرئي التماساً لرؤيته، فهو
طَلَبُ ظُهورِ الشَّيْءِ، ويكون الناظر الطالبُ لظهور الشَّيْءِ بإدراكه من
جهة حاسَّةٍ بصريَّةٍ أو غيرها من حواسِّه، والنَّظَرُ بالقلب من جهة
التَّفَكُّرِ، والنَّظَرُ أيضًا هو الفِكْرُ والتَّأَمُّلُ لأحوال الأشياء⁽²⁾.

والرُّؤْيَا هي إدراك المرئي، ولذلك قد ينظر، ولا يراه، ولما كانت
الرُّؤْيَا من تَوَابِعِ النَّظَرِ ولوازمه غالباً؛ أُجْرِيَ لَفْظُ النَّظَرِ على الرُّؤْيَا
على سبيل إطلاق اسم السَّبَبِ على المسبَّب⁽³⁾، كما ورد في حكاية
عن طلب موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]؛ فكان الردُّ: ﴿قَالَ
لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: 143]، وأيضاً فإنه قد يُطَلَّبُ جماعةُ الهلال، فيراه
جماعةٌ منهم، ولا يستطيع الآخرون رؤيته مع أنَّهم جميعاً ناظرون⁽⁴⁾،
فالفرق بينهما أنَّ الرُّؤْيَا هي: إدراك المرئي، والنَّظَرُ: الإقبال
بالبَصَرِ نحو المرئي.

أما البَصَرُ؛ فهو إدراك العين، ويُطلق على القوَّة الباصرة، التي
من شأنها إدراك أشباح الصُّور⁽⁵⁾، والعين هي أداة الإبصار، قال
تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 195]، وقد يُطلق البَصَرُ؛
ليدلَّ على العلم القويِّ المُضاهي لإدراك الرُّؤْيَا، فيقال: بَصَرَ

(1) السُّلَمي، حقائق التفسير: 2/ 382.

(2) العسكريُّ والجزائري، معجم الفروق اللُّغويَّة، ص: 543.

(3) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 29/ 457.

(4) العسكريُّ والجزائري، معجم الفروق اللُّغويَّة، ص: 543.

(5) الكفويُّ، الكلِّيات: ص 247، والتَّهَانُويُّ، كشاف اصطلاحات الفنون: 1/ 938.

بالشيء: عَلِمَهُ عن عيان، فهو بصير به⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَسْتَبْصِرْ وَتُبْصِرُونَ﴾ [القلم: 5]،
 وحينها يكون الفرق بين النظر والبصر كالفرق بين النظر والرؤية، قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]، فالإبصار يتميز بالوضوح، والرؤية تتميز
 بالعلم، والنظر يميزه التأمل، وهذا واضح في استعمالات القرآن لهذه الألفاظ.

(1) نشوان الحميري، شمس العلوم: 1/ 544.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-45-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"